

العقيدة - العقيدة من مفهوم القرآن والسنة - الدرس (٢٦-٤٠) : مستلزمات التوحيد -٦- الإنابة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-٢-١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

من لوازم التوحيد: الإنابة إلى الله :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس السادس والعشرين من دروس العقيدة الإسلامية، ومع موضوع الإنابة، على أنها من لوازم التوحيد .

الشيء الذي أتمنى أن يكون واضحاً لديكم تماماً: أن في كتب تقليدية، العقيدة أن تؤمن بكذا، وكذا، ولكن يضاف الآن: أن العقيدة أن تؤمن بكذا، وكذا، وأن يكون لك هذه الأحوال؛ أن تكون متوكلاً، أن تكون منيباً، أن تكون تائباً، أن تكون مخلصاً، فمن لوازم التوحيد: أن تكون منيباً إلى الله.

الدليل :

والدليل: أن الله عز وجل يقول:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ)

[سورة هود الآية: ٧٥]

(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)

[سورة ق الآية: ٦-٨]

(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ)

[سورة غافر الآية: ١٣]

(وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)

[سورة الزمر الآية: ٥٤]

يصف جل ثناؤه المؤمنين، بأنهم منيبون إليه، قال تعالى:

(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

[سورة الروم الآية: ٣١]

فالإنابة إلى الله من لوازم التوحيد، الشيء الذي أتمنى أن يكون واضحاً لديكم: شطر العقيدة ما ينبغي أن تعتقد، وشطرها الثاني ما ينبغي أن تكون عليه، فإن كنت تعتقد الصواب، ولم تكن كما ينبغي، فهناك خلل في عقيدتك، لأنك لم تنتفع بهذا الذي اعتقدت به .

هذه الإنابة العامة :

أيها الأخوة الكرام، الإنابة إنابتان، هؤلاء أهل الأرض، ستة آلاف مليون إنسان، كلهم ينيبون إلى الله عند الشدة، فساقهم، وكفارهم، ملحدوهم، ومؤمنوهم، أي إنسان إذا ركب في البحر، وكاد يغرق، يلتجئ إلى الله عز وجل .



حدثني أخ، كان في طائرة، تنقله من بلد مسلم إلى بلد كان سابقاً يؤمن بأنه لا إله، وعلى متن هذه الطائرة خبراء ملحدون جميعاً، ودخلت الطائرة في سحابة مكهربة، وأوشكت على السقوط، فإذا بكل هؤلاء الملحدين يرفعون أكفهم إلى الله يستغيثون به، قال تعالى:

(وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ)

[سورة الأنعام الآية: ٢٣-٢٤]

هذه الإنابة الأولى، أي إنسان مؤمن أو كافر، ملحد أو مستقيم، عاص، وفاسق، وفاجر، إذا جاءته الشدة، كأن أجرى فحصاً لورم خبيث، يقول: يا رب، لا إله ولا شافي غيرك، هذا الضعيف لا يتذكر ربه إلا عند الشدة، هذه إنابة عامة، هذا شيء يذكرنا بقوله تعالى:

(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)

[سورة الحديد الآية: ٤]

مع كل عباده، مع مؤمنهم، مع كافرهم، فاسقهم، وعاصيهم، وفاجرهم، وملحدهم، معهم بعلمه .



أيها الأخوة، لكن الله إذا قال: إن الله مع المؤمنين، مع المتقين، مع الصادقين، مع التائبين، معهم بالحفظ، والتأييد، والنصر، والتوفيق، فالإنابة صفة مشتركة بين كل الخلق عند الشدة، لكن المؤمن ينيب إلى الله في الرخاء، يعود إليه مختاراً، يعود إليه وهو قوي، يعود إليه وهو صحيح، وهو في مقتبل الحياة، وهو في أوجه، يعود إليه محبة، يعود

إليه شوقاً، فلذلك ينبغي أن نفرق بين إنابة عامة وإنابة خاصة، كما نفرق بين معية عامة ومعية خاصة .

الدليل من الكتاب على الإنابة العامة :

الدليل على الإنابة العامة قوله تعالى:

(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ)

[سورة الزمر الآية: ٨]

حدثني أخ في بلد إسلامي، أصابه زلزال مخيف، أقسم لي أن المساجد في الصلوات الخمس لا تتسع للمصلين، كانوا يصلون في صحن المسجد، بينما في الرخاء لا تجد صقنين، أما عقب الزلزال، جاءت الإنابة إلى الله عز وجل .

أنا أقول لكم: أنت حينما تعود إلى الله وأنت صحيح من دون مصيبة، فهذا شوق، وهذا حب، وهذا اختيار، وهذه بطولة، أما عند الشدة فأَيُّ إنسان يعود إلى الله، قال تعالى:

(وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ)

[سورة الروم الآية: ٣٣]

ثم يقول الله عز وجل:

(فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)

[سورة النحل الآية: ٥٥]

أيها الأخوة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ
الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي
كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا،
يَبِيعُ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

حينما تؤثر الدنيا على حساب دينك،
أحياناً الإنسان يبيع دينه بفتوى، يفتي



بخلاف ما يعلم، يقول مثلاً: على المسلمات في البلد الفلاني أن يخلعن الحجاب، يفتي بخلاف ما
يعلم، ويقول: الذين منعوا الحجاب معهم الحق، باع دينه، باع كل آخرته بفتوى، أنت حينما تؤثر
الدنيا على دينك، فقد بعث دينك بعرض من الدنيا قليل، إذًا: نحن في زمن الفتن، فتن كقطع الليل
المظلم، ظلّات وراء ظلّات، ظلّات الضلّالات، ظلّات الشبهات، ظلّات المعاصي، ظلّات
الانحرافات، يوجد انقباض، وتطرح فكرة تتناقض مع الدين، يروج لها أعداء الدين، كل يوم ينتقص
من الدين .

هذا زمن الفتن :



صدر كتاب في بلد عربي، هذا الكتاب
محوره وعنوانه: مراثي اللات والعزى،
الأصنام قبل الإسلام، عاشت حياة
ديمقراطية، فكل صنم يؤمن بالصنم
الآخر، أي سمح الصنم اللات للعزى أن
تكون موجودة، أما صنم محمد فقد ألغى
كل الآلهة، قمعي، كتاب لا يصدق، أي
إنّ الإله الذي دعا إليه النبي عليه
الصلاة والسلام إله قمعي، لم يسمح بإله

معه أبدأ، أما الآلهة التي كانت قبل البعثة، فعاشت حياة ديمقراطية، وكل صنم اعترف بالصنم
الآخر، وتعايشوا، ظلّات بعضها فوق بعض، أقبّلت الفتن كقطع الليل المظلم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا

وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

أعرف شخصاً، له ابن، توفاه الله في العاشرة من عمره، فترك الأب الصلاة كلياً.

أعرف أناساً الآن عقب محن المسلمين، ولاسيما سقوط بغداد، تركوا الصلاة .

((يَبِيعُ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))

طرفة :

كطرفة لعلي ذكرتها كثيراً: رجل بدوي، له أرض شمالي جدة، فلما توسعت جدة، اقتربت من أرض المدينة الواسعة، وارتفعت أسعارها، فأراد أن يبيعها، اشتراها مكتب خبيث جداً بربع ثمنها، وأنشؤوا بها بناء عالياً، يزيد على عشرة طوابق، لكن هم شركاء ثلاثة؛ أول شريك وقع من سطح البناء فنزل ميتاً، وثاني شريك دهسته سيارة، فانتبه الثالث، فبحث عن صاحب الأرض ستة أشهر حتى عثر عليه، ونقده ثلاثة أضعاف حصته ليسامحه، فقال له هذا البدوي: أنت لحتت حالك .

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا

وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))

قصة :

أنا ذكرت قصة الإمام الذي ركب
مركبة في بريطانيا، ودفع للسائق قطعة
ورق نقدية كبيرة، ردّ له السائق الباقي،
وهذا السائق جلس الإمام في مقعده، عدّ
المبلغ الذي رده له، فوجده يزيد على ما
يستحق عشرين سنتاً، فلما حدث نفسه
أنه أنا مسلم، ينبغي أن أردّ الزيادة إلى
السائق، جاءه خاطر شيطاني، أنه مبلغ
زهيد جداً، والشركة عملاقة، ودخلها



فلكي، ولا تتأثر بهذا المبلغ، لعله هبة من الله خصني به، النتيجة: أن كلامه الثاني خطأ، هذا كلام
شيطاني، فلما جاء وقت نزوله من المركبة، وقف أمام السائق دون أن يشعر، وأعطاه العشرين

سنتاً، قال له: هذه زيادة، فتبسم السائق، وقال له: ألسنت إمام هذا المسجد؟ قال: بلى، قال له: والله حدثت نفسي أن أزورك في مسجدك، لأتعبد الله عندك، ولكنني أردت أن أمتحنك قبل أن أزورك، فصعق، ووقع على الأرض، فلما استعاد وعيه، قال: يا رب كدت أبيع الإسلام بعشرين سنتاً . والله كل يوم ملايين المسلمين يبيعون دينهم بالسنتات، أو بالدولارات، أو بالليرة السورية، أو بحصة من محل، أو باغتصاب لإرث، أو باغتصاب لشركة، أو باغتصاب لبيت ، هذا الذي يقيم شعائر الله، ويأخذ حقوق الناس، هذا يعمل عملاً معاكساً للدعاة، هذا منفر، هذا الذي يسبب أن يكفر الناس بالدين، هذا الذي يسبب أن يقول الرجل: أتعامل مع الشيطان، ولا أتعامل مع إنسان متديّن، هذه المشكلة الكبرى الآن .

ماذا تنتظر من الدنيا؟ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا؛ هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فُقْرًا مُنْسِيًّا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًّا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْقِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهَزًا، أَوْ الدَّجَالَ، وَالدَّجَالَ فُشْرٌ غَائِبٌ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ، وَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ؟))

[أخرجه الترمذي والنسائي في سننهما]

هل ينتظر الإنسان من المستقبل في الدنيا إلى أن يخسر بعض تجارته؟ هذا شيء واقع دائماً، أو أن يأتيه المال فيكون طاغياً به، أو يأتيه مرض يفسد عليه حياته، أو خرف وتقدم في السن، يصبح مخرفاً، أو يأتيه الموت مجهزاً، أو الدجال كما تسمعون، يقتلون، ويقصفون، ويبيدون، وينهبون الثروات، وجننا من أجل حريتك، وجننا من أجل أن تستمتعوا بالديمقراطية التي نستمتع بها، كلام يخرجك من جلدك، هذا الدجال .

أنواع الإنابة :

١-إنابة بالاستغفار :

أيها الأخوة، أنواع الإنابة: إنابة بالاستغفار، المؤمن لا يفتأ يستغفر الله عز و جل، عن شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((سَيِّدُ السُّتَغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي،

فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

هكذا يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح، سيد الاستغفار أن تقول هذا الدعاء .

بماذا وصف الله المؤمنين في هذه الآية؟ :

وقد وصف الله المؤمنين بأنهم يستغفرون:

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذُكِرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

[سورة آل عمران الآية: ١٣٥]

مما يؤكد معنى هذه الآية: حديثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ:

((ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاعْفُوا يَغْفِرَ لَكُمْ، وَيَلْ لِقَامَاعِ الْقَوْلِ، وَيَلْ لِلْمُصْرِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ))

[أخرجه أحمد في مسنده]

يبدو أن أسوأ المذنبين الذي يرتكب الذنب، ويصر عليه، ويفتخر، الله عز وجل يطمئننا ويبشرنا:

(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا)

[سورة النساء الآية: ١١٠]

من الأحاديث التي وردت بشأن الاستغفار :

وعن أبي هريرة قال:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي في سننه]

ومن أذكار النبي عليه الصلاة والسلام: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ:

((كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ، عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَيْرٍ، وَمَجْلِسٌ ذَكَرَ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ، كَمَا يُخْتَمُ بِالخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

الحديث الذي قد يدعو إلى الحيرة، فعن أبي هريرة قال:

((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء

بقوم يُذنبون فيستغفرون، فيغفر لهم))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

المعنى هناك: إن لم تشعرُوا بذنوبكم فأنتم هالكون، لو لم تذنّبوا بمعنى لو لم تشعرُوا بذنوبكم، فالمؤمن ذنبه كالجبل، بينما المنافق ذنبه كالذباب، لا يعبا به، هذه الإنابة الأولى، إنابة الاستغفار .

٢-إنابة القلب بمعاكسة انشغال الإنسان بأحوال الدنيا ومجاهدة النفس والهوى :



الإنابة الثانية: إنابة في القلب بمعاكسة انشغال الإنسان بأحوال الدنيا، أقول دائماً: الشيطان يوسوس للإنسان أن يكفر إن رآه على إيمان، يوسوس له أن يشرك إن رآه على توحيد، يوسوس له أن يبتدع إن رآه على سنة، يوسوس له بكبيرة إن رآه على طاعة، يوسوس له بصغيرة إن رآه على ورع، يوسوس له بالتحريش بين المؤمنين، عي، حوار،

مشاكل، فلان يفهم، فلان لا يفهم، فلان ليست هذه نيته، ليس له همّ إلا أن ينتقد من حوله، الورقة قبل الأخيرة بيد الشيطان، أما آخر ورقة فهي المباحات، يغرق في المباحات، إلى أن ينسى الله عز وجل، هذه أوراق الشيطان .

الآن إنابة القلب بمعاكسة انشغاله بأحوال الدنيا، ومجاهدة النفس والهوى، وأنا أرى أن هذه المجاهدة هي الأولى، لا تستطيع أن تجاهد أيّ جاهد آخر قبل أن تجاهد نفسك وهواك ، إن لم تنتصر على نفسك فلا تستطيع أن تواجه نملة، جاهد النفس والهوى، ثم الجهاد الدعوي ، ثم الجهاد البنائي، ثم الجهاد القتالي إن أتيح للمسلمين .

قال بعض العلماء: خير القلوب قلب رجع إلى الله، لهاج بذكره، وذكر نعمائه وفضله، متقل من دنياه، ومن أعمال النظر في زخارف الدنيا، هذا أفضل قلب عند الله .

الإنبابة الثالثة: الإنبابة إلى الله بالمال،
تنيب إليه بالاستغفار، وتنيب إليه
بمجاهدة النفس والهوى، وتنيب إليه
بانفاق المال:



(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ)

[سورة البقرة الآية: ١٩٥]

المعنى إن لم تنفقوا، إن لم تنفقوا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة، ويوجد معنى آخر:

(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)

[سورة البقرة الآية: ١٩٥]

نسيتم أهلكم وأولادكم، ومن يلوذ بكم، نسيتم أن هناك حاجات أساسية لأولادك، أولادك من لهم
غيرك؟ فإنفاق المال كله بشكل عشوائي أيضاً هذا نوع من الهلاك، لكن المؤمنين ينفقون في السراء
والضراء، كما قال الله عز وجل .

من الأحاديث التي وردت عن النبي بشأن إنفاق المال :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه، عَنْ عُبَيْةَ قَالَ:

((صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمْتُ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، يَتَخَطَّى رِقَابَ
النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزَعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فُخِرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ
سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: نَكَّرْتُ شَيْئًا مِنْ تَبَرِّ عِنْدَنَا، فَكْرَهْتُ أَنْ يَبِيْتُ عِنْدَنَا، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والنسائي في سننه]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْبَرُ أَجْرًا؟ قَالَ: أَنْ
تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَاحِحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمَلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلُوفُ قُلَّتْ:
لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ))

البطولة: أن تنفق المال وأنت في أشد الحاجة إليه، أن تنفق المال وأنت صحيح، أن تنفق المال وأنت
شحيح .

٤- الصبر على المحن :



الإنابة الرابعة: الصبر على المحن، نحن في محن الآن، فالمؤمن متماسك، المؤمن واثق من حكمة الله، واثق من رحمته، مستسلم لقضائه وقدره، مع أن الأشياء صعبة جداً، لذلك قال تعالى :

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ)

[سورة الزمر الآية: ١٧-١٨]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

اسلك هذا الطريق :

المؤمن يسيء فهم المعصية، المعصية محببة، المعصية أن تجلس في البيت، لا أن تأتي إلى مسجد، فيه درس علم، بيتك مريح دافئ، وفيه كل وسائل الراحة، أما في الجامع فلعله يكون أقل، لكنك سلكت طريق العلم .

عَنْ قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ:

((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ

طَرِيقًا مِنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتَها رضى لطلب العلم))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

لم خصصت التكاليف بالأجر الكبير؟ :

أيها الأخوة، هناك تكاليف، والتكاليف تعني أشياء ذات كلفة، غض البصر فيه جهد، أداء الصلوات فيه جهد، ضبط اللسان فيه جهد، الاستيقاظ إلى الصلاة فيه جهد، فالتكاليف تعاكس طبيعة الجسد، وهي ذات كلفة، لذلك لها أجر كبير، يجمعها قوله تعالى:

(فَأَمَّا مَنْ طَعَى * وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)

[سورة النازعات الآية: ٣٧-٤١]

من علامة الإيمان :

هناك قول لبعض العلماء: لن تفقه كل الفقه، حتى تمقت الناس في ذات الله، ثم ترجع إلى نفسك فتكون أشد لها مقتاً .

تجد أناساً يكذبون، ويمزحون مزاحاً ساقطاً، ويختلطون مع نساء لا يحلن لهم، ويحتالون، ويتلطفون، يقيمون حفلات جميلة، فأنت منسجم مع الجماعة، مرتاح تماماً، ما دام منسجماً مع هذا المستوى، فأنت بعيد عن الإيمان، أما حينما يغضبك كذبهم ونفاقهم، حينما تغضبك شهواتهم المحرمة التي يأتونها، حينما يغضبك احتيالهم، حينما يغضبك كسب أموالهم بالحرام، حينما تشعر بغربة، حينما تمقت العصاة في ذات الله، فأنت مؤمن، أما إذا كنت منسجماً معهم، الناس كلهم خير وبركة، الحمد لله كل الناس جيّدون، يرى بعينيه انحرافهم، وكذبهم، ونفاقهم، وشركهم، وتملقهم، فأنت إن لم تمقتهم، معنى ذلك أنت منهم، علامة إيمانك بأخر الزمان: إحساسك بالغربة، لا تركز إلا لمؤمن صادق، ليس فيه كذب، مؤمن ورع، عفيف، أمين، ترتاح له، أما إذا كنت مرتاحاً لكل الناس على فسقهم، وفجورهم، ونفاقهم، وكذبهم، فهذه علامة خطيرة ليست في صالحك .

هناك قول لبعض العلماء: لن تفقه كل الفقه، حتى تمقت الناس في ذات الله، ثم ترجع إلى نفسك فتكون أشد لها مقتاً .

نقطة دقيقة :

قال بعض العلماء: الخروج من التبعات، والتوجه للعثرات، واستدراك الفائتات، والخلاص من لذة الذنب، وترك الاستهانة بأهل الغفلة خوفاً عليهم مع الرجاء لنفسك .

النقطة دقيقة جداً: أن تخشى على الناس، ولا تخشى على نفسك، قال لي واحد: سوف أعتمر، وأهبها للنبي، قلت له: انفذ بريشك أنت، هو مغفور له كل ذنبه، مباشر بالجنة، فسوف يقدم للنبي هدية عمرة، لم ترد هذه في السنة إطلاقاً، يتوجه على الناس، وهو غارق في أخطائه .

٥- إنابة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

من الإنابة أيضاً: إنابة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه سماها العلماء الفريضة السادسة، وهي في القرآن الكريم من علة خيرية هذه الأمة، فإن لم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر فقدت خيريتها، وأصبحت كأيّ أمة خلقها الله، قال تعالى:

(كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)



[سورة النساء الآية: ٥٩]

فإن لم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر فقدنا خيريتنا، لذلك: أهلك الله بني إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لا تجامل أحداً، يجب ألا تأخذك في الله لومة لائم، من أعان ظالماً سلطه الله عليه، من أعان ظالماً، ولو بشرط كلمة، سلطه الله عليه .
قال تعالى:

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)

[سورة الأعراف الآية: ١٦٥]

(وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ)

[سورة آل عمران الآية: ١٠٤]

هذا ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم

عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم))

[أخرجه الترمذي في سننه]

بربكم، هذه الثياب التي تصف أعضاء المرأة، هذه الفتاة أليس لها أب، وعم، وأخ، وخال؟ كلهم مسلمون، لا يوجد أحد ينهاها عما تفعل؟ هذا أقرب شيء إلينا، هؤلاء الفتيات في الطرقات بنات من؟ بنات المسلمين، تكون أمها إلى جنبها محجبة حجاباً كاملاً، كيف رضيت من ابنتها أن تخرج هكذا؟ كيف رضي أبوها؟ كيف رضي أخوها، عمها، خالها؟ .

هذا الذي يقول عنه النبي عليه الصلاة والسلام:

((والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم))

الآن في حرب العراق، أنا فيما أعلم: أن مساجد العالم الإسلامي بأكملها في كل الصلوات قنتت، وقالت: اللهم دمر أعداء المسلمين، اللهم شنتت شملهم، اللهم اجعل بأسهم بينهم ، اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم، الله ما استجاب، لأن المسلمين لم يتناهاوا عن منكر فعلوه.

حديث دقيق :

يقول عليه الصلاة والسلام في حديث دقيق جداً، ونحن في أمس الحاجة إليه:
((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين))

[أخرجه البزار في مسنده]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا))

[أخرجه أبو داود في سننه]

من هم القرون الذين شهد النبي لهم بالخيرية؟ :

قال عبد الله بن مسعود: من كان مستنّاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة . أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم . لذلك:

((إن الله اختارني، واختار لي أصحابي))

هؤلاء شهد لهم النبي بالخيرية، وهم القرون الثلاثة الأولى .

عَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

((قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ

بَعْدَهُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَوْفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

٦- الإنابة إلى الله عند الشعور بدنو الأجل



الإنابة إلى الله عند الشعور بدنو الأجل،
فيرضى المؤمن عن الله، وعن قضائه،
ويستسلم لأمره.
عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ:

((كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ دُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَجْتَمِعَانَ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِنَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمَنَهُ مِمَّا
يَخَافُ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

بماذا ينهانا النبي في هذا الحديث؟ :

عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ، وَهُوَ يَشْتَكِي، فَتَمَنَّى الْمَوْتَ، فَقَالَ:
((يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ، لَأَتَمَنَّ الْمَوْتَ، إِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا تَرَدُّدًا إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْرٌ لَكَ،
وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئًا فَإِنْ تَوَخَّرَ تَسْتَعْتَبُ خَيْرٌ لَكَ، فَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ))
ينهى النبي عليه الصلاة والسلام عن تمني الموت .

خلاصة القول :

أيها الأخوة، هذه مرتبة من مراتب التوحيد، أن تنيب إلى الله؛ إما بالاستغفار، وإما بمجاهدة النفس
والهوى، وإما بإنفاق المال، وإما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإما بالاستعداد للموت، هذه
أنواع الإنابة إلى الله عز وجل .

أختم هذا الدرس بالفكرة التي أحرص عليها حرصاً شديداً: ليس علم العقيدة أنك تعتقد ما ينبغي أن
تعتقد، ينبغي أن تعتقد ما ينبغي أن تعتقد، وأن تكون على ما ينبغي أن تكون، فالإنابة من لوازم
التوحيد، والاستغفار من لوازم التوحيد .

في درس قادم إن شاء الله، نتحدث عن التوبة لأنها من لوازم التوحيد .
والحمد لله رب العالمين